الهند في كتابات هيرودوت الهاليكارناسي

محمد صالح سليمان

مدرس، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة أسيوط، مصر

الملخص

حين زحف الإسكندر الأكبر إلى الهند نحو نهاية القرن الرابع قبل الميلاد وتمكن من ضم جزء منها إلى إمبراطوريته، لم تكن هذه المرة الأولى التي يسمع فيها الإغريق عن هذا الجزء من العالم؛ ذلك لأنهم عرفوا الكثير عنه بالفعل قبل ذلك التاريخ. فقد انتشرت العديد من الكلمات الهندية لمنتجات من هذا البلد في الأدب الإغريقي حتى قبل القرن الرابع ق.م. حتى إن هوميروس أشار إلى شعوب كانت تعيش في الشرق الأقصى وقد أطلق عليهم اسم "الأثيوبيون". هذا، وقد تزايدت معلوماتنا عن هذا البلد في نهاية القرن السادس ق.م. حين أرسل الملك الفارسي داريوس الأول قائده سكيلاكس Scylax لاستكشاف نهر السند. وقد أتم القائد سكيلاكس مهمته وخلف من ورائه كتاباً له عد شاهداً عما رآه. وقد اعتمد هيكاتيوس على كتاب سكيلاكس حين عزم على إضافة جزء عن الهند في كتابه الجغرافي الذي خلفه لنا. وجاء هيرودوت ليستخدم ما تركه هيكاتيوس حين أفرد للهند بعض فصول كتابه التواريخ Histories نحو نهاية القرن الخامس قبل الميلاد.

وفي هذا البحث نتتبع هيرودوت فيما كتبه عن الهند موضحين أن ما رصده من معلومات عنها هي جد مفيدة تاريخياً، وذلك قبل أن يفد إليها الإسكندر الأكبر، ليس فقط عن طبوغرافية المكان، والمناخ، والكائنات التي تعيش هناك، وإنما كذلك عن سكان هذا البلد، وما يتفردون به من عادات وتقاليد.

وهو بذلك – في رأينا – يحمل بين دفتيه تفصيلات مهمة عن هذه المنطقة من العالم القديم، التي يرجع معلوماته عنها إلى القرن الخامس ق.م.

المقدمة

حين زحف الإسكندر الأكبر إلى الهند نحو نهاية القرن الرابع قبل الميلاد وتمكن من ضم جزء منها إلى إمبراطوريته، لم تكن هذه المرة الأولى التي يسمع فيها الإغريق عن هذا الجزء من العالم؛ ذلك لأنهم عرفوا الكثير عنه بالفعل قبل ذلك التاريخ. فقد انتشرت العديد من الكلمات الهندية لمنتجات من هذا البلد في الأدب الإغريقي حتى قبل القرن الرابع ق.م. حتى إن هوميروس أشار إلى شعوب كانت تعيش في الشرق الأقصى، وقد أطلق عليهم اسم "الأثيوبيون". هذا، وقد تزايدت معلوماتنا عن هذا البلد في نهاية القرن السادس ق.م. حين أرسل الملك الفارسي داريوس الأول قائده سكيلاكس Scylax لاستكشاف نهر السند. وقد أتم القائد سكيلاكس مهمته وخلف من ورائه كتاباً له عد شاهداً عما رآه. وقد اعتمد هيكاتيوس على كتاب سكيلاكس حين عزم على إضافة جزء عن الهند في كتابه الجغرافي الذي خلفه لنا. وجاء هيرودوت ليستخدم ما تركه هيكاتيوس حين أفرد للهند بعض فصول كتابه التواريخ Histories نحو نهاية القرن الخامس قبل الميلاد.

وفي هذا البحث نتتبع هيرودوت فيما كتبه عن الهند موضحين أن ما رصده من معلومات عنها هي جد مفيدة تاريخياً، وذلك قبل أن يفد إليها الإسكندر الأكبر، ليس فقط عن طبوغرافية المكان، والمناخ، والكائنات التي تعيش هناك، وإنما كذلك عن سكان هذا البلد، وما يتفردون به من عادات وتقاليد.

ولقد رأينا تقسيم البحث إلى النقاط التالية:

1 - نبذة عن حياة هيرودوت الهاليكارناسي.

2 - رحلاته.

3 - تحديد هيرودوت لموقع الهند والصحراء الهندية.

4 - الهند ولاية فارسية والضرائب المفروضة عليها.

5 - القطن الهندي.

6 – مناخ الهند.

7 – المخلوقات التي تعيش في الهند.

8 – الشعب الهندي.

9 – ساكنو النهر.

10 – البادئيون Padaei وأرض Pandaea.

11 – النباتيون.

12 – الهنود الشماليون.

13 – حيوان النمل الأسود.

14 – خاتمة.

وذيلنا البحث بملحقين توضيحيين، هما:

1 – صورة لحيوان النمل الأسود يحفر بحثاً عن الذهب.

2 – خريطة الهند.

1 - نبذة عن حياة هيرودوت الهاليكارناسي

وفقاً لما ذكره ديونيسيوس Dionysius الهاليكارناسي[1]، ولد هيرودوت قبل بداية الحروب الفارسية بقليل، وعاش وعاصر أحداث حرب البليبونيز. وكان أولوس جيلليوس Aulus Gellius [2] أكثر تحديداً بأن وضع عام 484 ق.م. تاريخاً لمولد هيرودوت، وهو تاريخ من شأنه أن يتعارض مع ما أورده ديونيسيوس عن كون هيرودوت قد ولد قبيل الحروب الفارسية (490 ق.م.) بقليل، إلا إذا – كما أشار بذلك بريتشيت Pritchett [3] – قمنا بتصحيح العبارة التي أوردها ديونيسيوس Dionysius:

(ὀλίγῳ πρότερον τὰ Περσικά) "قبل الحروب الفارسية بقليل" لتصبح:

(ὀλίγῳ ὕστερον τὰ Περσικά) "بعد الحروب الفارسية بقليل".

أو أن نأخذ عبارة " الحرب الفارسية" لتشير إلى حملة إكسيركسيس

Xerxes عام 480 ق.م. لا لحرب داريوس الأول Darius I عام 490 ق.م. وهو يفترض كذلك أن هيرودوت قد توفي في المستعمرة الإغريقية تورى Θούριοι، وذلك قبل عام 420 ق.م. لكن من الثابت أنه عاش حتى عام 430 ق.م؛ لكونه وضع إشارات للأحداث عن هذه الفترة مثل حادث إعدام أريستيوس Aristeus الكورينثي[4].

2 - رحلاته

أما بالنسبة إلى رحلات هيرودوت خارج هاليكارناسوس، فإلى جانب ساموس Samos [5] حيث عاش فيها فترة من حياته، عرف عنه كذلك زيارته لمصر، وغزة Gaza [6]، وصور Tyre [7]، وبابل Babylon [8]، وأثينا Athens [9]، وصقلية Sicily [10]، وغيرها من البلدان والمدن. ومن المؤكد أن هيرودوت في أثناء ترحاله في مدن الشرق وبلدانه وصل إلى مسامعه - وإن رأى - أخبار عن الهندIndia. ومن المعروف أن هيرودوت، في أثناء ترحاله في ربوع الإمبراطورية الفارسية، تواترت إليه الأخبار إما من التجار وإما من الموظفين الفرس عن هذا الجزء من العالم وأوردها في بيان له مفصل، وهو الذي لم يتردد ليورد مصادره الفارسية عند الحديث[11]. وقد تضمن حديث هيرودوت عن الهند معلومات عن الكثير من مظاهر الحياة فيها: الطبيعة منها والجغرافية، وكذلك المناخ، مروراً بعادات أهلها وطرائق معيشتهم[12]، وهو بذلك - في رأينا - يحمل بين دفتيه تفصيلات مهمة عن هذه المنطقة من العالم القديم، التي يرجع معلوماته عنها إلى القرن الخامس ق.م.

3 - تحديد هيرودوت لموقع الهند والصحراء الهندية

يصف هيرودوت الهند بدقة بأنها تقع في أقصى الشرق من كل البلاد الأخرى المعروفة له ولغيره[13]. وإن اعتقاده بأن هناك صحراء تقع إلى الشرق من كل بلاد الهند[14] لهو أمر صحيح نسبياً؛ ذلك لأنه في المقام الأول، أن الهنود الذين استقى منهم هيرودوت معلوماته إنما هم هؤلاء الهنود الذين يعيشون داخل نطاق الإمبراطورية الفارسية، وهي المنطقة المعروفة باسم بلاد السند

Indus [15]. وثانياً، هناك صحراء تقع إلى الشرق من بلاد السند، وهي صحراء الهند الكبرى، بيد أن هيرودوت جانبه الصواب حين ذكر أن الفراغ وحده هو ما يخيم على ما دون هذه الصحراء.

4 - الهند ولاية فارسية والضرائب المفروضة عليها

وفقاً لما أورده هيرودوت، فقد شغلت الهند المركز العشرين في قائمة الولايات الفارسية[16]. أما عوائدها فكانت عديدة؛ إذ نجد منها 360 تالنت من الذهب[17]، وهو مبلغ - كما يشير هيرودوت - أكبر بكثير مما كانت تدفعه أي ولاية أخرى. وأما كيف كان الهنود يتحصلون على كل هذا الكم من الذهب، فهو محل سؤال. ووفقاً لهيرودوت، هو إما تم استخراجه من باطن الأرض[18]، وإما جمع من النهر[19]. وما يتعلق بالمناجم، فمن غير الواضح مدى معرفة الهنود لها. ويعتقد تارن Tarn أن الهنود لم يعرفوا عملياً أي شيء عن هذه الطريقة لاستخراج الذهب، وأما الرأي القائل إن الضريبة التي كان يدفعها الهنود إلى الفرس كانت في شكل ذهب فهو يستند إلى أنه جاء من مناجم الذهب في سيبيريا Siberia [20]، وأن مسألة حصول الهنود على الذهب من أحد الأنهار هي مسألة غير محددة، ووفقاً لما أورده كونينجام Cunningham [21] فإن الرمال في أعالي نهر السند - حتى يومنا هذا - حين يتم غسلها جيداً، تنتج ذهباً[22].

أما عن مقدار الذهب الذي كان على الهند دفعه، فوفقاً لكل من لاسين Lassen [23]، وهاو How وويلز Weles [24]، وتارن Tarn [25]، فكان مبالغ مبالغاً فيها. إذ يرى هاو How وويلز Weles، اللذان تبنيا رأي لاسين Lassen، أن هيرودوت، حين علم بوفرة المعادن في شمال شرق الهند وبالهيئة التي يبدو عليها الهنود، استنتج ببساطة أن الهند بلد غني بالذهب. ويعتقد تارن Tarn أن الهند لم يكن لديها من الذهب إلا ما يوجد منه على ضفاف نهر الغانج Ganges [26]. ولو أن الهند كانت تدفع الذهب للملك الفارسي، فإن هذا الذهب إنما جاء من سيبيريا Siberia، كما يفترض بذلك تارن Tarn [27]. وعلى أية حال، فإن بيان هيرودوت عن مقدار الذهب الذي كانت تدفعه الهند لا ينبغي

التقليل منه؛ إذ يبدو أنه كان لديها من الذهب ما يكفي، بيد أنه تبعاً لما فرض عليها من ضريبة، تناقص هذا المصدر لديها تدريجياً، حتى غدت بلداً من دون ذهب، وهو ما وجده جيوش الإسكندر وجنوده حين وصولهم إلى هناك[28].

5 - القطن الهندي

يشير هيرودوت إلى أن الهند كانت تنتج شيئاً اشتهرت به كذلك ألا وهو القطن[29]. وكان القطن يوصف بمن قبل هيرودوت بكونه "الثمرة التي تدر صوفاً"، (καρπὸν εἴριο...προφέροντα)، وبالنسبة إلى الملابس القطنية التي كان يرتديها الجنود الهنود في الجيش الفارسي، فقد عرفها هيرودوت بأنها "دثر صنعت من الأشجار" (εἵματα...ἀπὸ ζύλων πεποιημένα)[30]. هذا القطن - في الحقيقة - وصفه هيرودوت بأنه " أزكى وأفضل من صوف الغنم"[31]. وربما تكون شجيرات القطن هذه هي نفسها التي أشار إليها ثيوفراستوس Theophrastus [32] بأنها تنمو في إحدى الجزر في الخليج الفارسي. ويبدو محتملاً أن "الصديريات" التي ترجع إلى القرن السادس ق.م. والتي كان الفرعون المصري أماسيس Amasis يرتديها - كما أشار إليها هيرودوت[33] - وتقدم هدية منه إلى ساموس وليندوس، بعد أن يزينها بالذهب و"صوف الأشجار" ?????? كان يستخدم فيها القطن الذي ينمو على هذه الشجيرات في الخليج الفارسي أو يتم تصديره مباشرة من الهند.

6 - مناخ الهند

أما بالنسبة إلى مناخ الهند، فيصفه هيرودوت بأنه شديد الحرارة في أثناء النهار وتقل حرارته مع انكسار الضوء فيها بعد الظهيرة[34]. وأن حرارة الجو في الظهيرة تتخطى كثيراً حرارة الجو في البلدان الأخرى مثل اليونان. وحقيقة، فقد سجل هيرودوت في بيانه أنه نظراً لحرارة الجو المرتفعة هناك اعتاد سكانها على ترطيب أجسادهم بالماء أطراف النهار. هذه الحرارة الشديدة - أخبرنا هيرودوت - تبدأ "في صباح اليوم وقت انعقاد السوق" (μέχρι οὗ ἀγορῆς διαλύσιος)[35]، ثم

تستمر حرارة الجو طيلة النهار لتبدأ في الانكسار تدريجياً مع انحسار ضوء النهار. ومع غروب الشمس يفترض أن تتحول حرارة البلاد إلى البرودة.

ووفقاً لما أورده كل من هاو How و ويلز Wells [36] فإن بيان هيرودوت قائم على اعتقاده أنه لما كانت الهند تقع في أقصى الشرق، فمن البدهي أن نهارها كانت حرارته لا تطاق؛ نظراً لتعامد أشعة الشمس على المكان، وفي المساء يكون فيه الجو بارداً؛ نظراً لبعد البلاد في موقعها القصي. وعلى أية حال، فإن كاري Cary الذي بنى رأيه على رؤيته الشخصية كرحالة يطوف البلدان[37]، يقترح أن وصف هيرودوت لنهار اليوم في الهند بأنه ملائم لمكان يقع فيه وادي نايتي Niti القاطن وسط جبال الهيمالايا. فصباحه هو أشد حرارة؛ نظراً لهبوب رياح شديدة ساخنة على أرجاء الوادي، التي تهدأ نسبياً بعد الظهيرة. ويفترض كاري Cary أن حالة الطقس هذه ممكنة؛ لأن ماركو بولو Marko polo نفسه قد سجل في رحلاته[38] أنه شاهد طقساً مماثلاً في منطقة هرمز Ormuz. وهناك، في أثناء فصل الصيف، تهب رياح من التاسعة صباحاً، ساخنة جداً، لدرجة يود معها السكان أن يغمروا أنفسهم في الماء لينجوا من لهيب حرارة الجو.

إن مثل أحوال الطقس هذه - كما يصفها هيرودوت - من الممكن أن نجدها عندئذ من خلال بيانات وتقارير الرحالة المحدثين الذين سجلوا ملاحظاتهم عن وادي نايتي، وكذلك بيان ماركو بولو عن هرمز. وعلى أية حال، من الصعب بمكان القول إن هيرودوت وضع وادي نايتي تحديداً في حسبانه حين كان يصف الظروف المناخية ليوم في الهند؛ لذلك يمكن القول إنه كانت لديه دراية بجبال الهيمالايا ومرتفعاتها. كما أن فرص سماع هيرودوت لأقوال وردت على ألسنة التجار من هذا الوادي ومن ثم عممها على باقي أرجاء الهند يعد احتمالاً ضعيفاً؛ لأنه من السهل واليسير عليه أن يستمع إلى ما يخص الظروف المناخية لكاندهار Gandhara ووادي السند التي تقع بعيداً عن الحدود الفارسية. وعندئذ، يبدو محتملاً أن افتراض كل من هاو How و ويلز Wells هو

الأقوى، وأن هيرودوت ارتأى الأرض كقرص مستو، ومنه تقع الهند بمقربة من حافتها الشرقية، ومن ثم فهي قريبة جداً من أشعة الشمس.

7 - المخلوقات التي تعيش في الهند

وبالنسبة إلى المخلوقات التي تعيش في الهند، فإنه يوجد منها الحيوانات ذوات الأربع، وكذلك الطيور، وتوصف جميعها بأنها أكبر حجماً من تلك الحيوانات الموجودة في البلدان الأخرى[39]. والاستثناء الوحيد الذي وضعه هيرودوت في ذلك هو الخيول التي وصفها بأنها أصغر حجماً، ومنها الحصان متوسط الحجم المعروف باسم "Nesaean"[40]. ويبدو محتملاً أن بيان هيرودوت كان قائماً، على أن أي قطر ثري مثل الهند له أن يتفوق في أحجام الحيوانات التي تقطن فيها. وفي الواقع - كما أشار كل من هاو How وويلز Wells[41] - فإنه إلى جانب الفيل الهندي، تجاوزت الهند في أحجام حيواناتها ما لسائر البلدان. وبالنسبة إلى الخيول، فالمعروف أن الهنود كانوا يمتطونها في جيش إكسيركسيس Xerxes، كما كانت تستخدم مع الحمير البرية لجر المركبات[42]. والحمير البرية نفسها - وفقاً لما أورده كل من هاو How وويلز Wells[43] - تم استقدامها من مملكة أشور Assyria ومن بيريسبوليس Persepolis[44]، وقد وجدت في شمال غرب الهند. ويشير هيرودوت إلى الكلاب الهندية[45] موضحاً أنها كانت تشكل جزءاً من ممتلكات حاكم بابل Babylon[46] واصطحبها إكسيركسيس معه حين زحف إلى بلاد اليونان[47]. أما الضراوة والوحشية التي كانت عليها هذه الكلاب فلم يورد هيرودوت أية تفاصيل عنها[48].

8 - الشعب الهندي

ويصف هيرودوت سكان الهند، بشيء من التفصيل؛ فهم يعرفون قبل أي شيء بأنهم الأكثر عدداً من كل البلدان الأخرى[49]، وهي عبارة اعتبرها كل من سميث Smith[50] وهاو How وويلز Wells[51] بأنها تتعارض مع ما ذكره ثوكيديديس Thucydides عن السكوثيين. وينبغي أن نلاحظ هنا، أنه بينما ذكر

هيرودوت أن الهنود كانوا أكثر الشعوب المعروفة تعداداً حينذاك، يقول ثوكيديديس Thucydides إن السكيثيين هم الأكثر "بالنظر لحجم جيوشهم"[52]. لقد كان هيرودوت يشير إلى السكان كوحدة واحدة، أما ثوكيديديس فقد كان يتحدث فقط عن القوة العسكرية للسكوثيين. وبعبارة أخرى، فإننا لا نجد تعارضاً بهذا الصدد هنا بين ما ذكره هيرودوت وما ذكره ثوكيديديس. وربما يكون حرياً بنا القول: إن الهنود، وكانوا شعباً كبيراً في تعداده، قد خصصوا جزءاً صغيراً منه في الجانب العسكري.

أما عبارة هيرودوت التي أشار فيها إلى أن الهنود قد تشكلوا من عدد كبير من الشعوب وكذلك كانت بينهم العديد من اللغات، لهي أمر جدير بالنقاش؛ لقد كان الهنود زمن هيرودوت، وكذلك الهنود في زمننا هذا، يتشكلون من نوعين عرقيين اثنين؛ الأول: هو العنصر الهندو-إيراني Indo - Aryan الذي استقر في هذه المنطقة نحو عام 1500 ق.م، والثاني: هو السلالة الدرافيدية Dravidian التي استقرت في هذه المنطقة منذ القدم. وأما أبناء العنصر الهندو-إيراني فقد اتخذوا من شمال الهند مكاناً لهم تاركين الأجزاء الجنوبية للعناصر الدرافيدية ذوي البشرة الداكنة. وقد استمر كلا العرقين في الحياة في هذه المناطق والتحدث بلغته الخاصة حتى يومنا هذا[53].

9 - ساكنو النهر

يشير هيرودوت كذلك في بيانه السابق نفسه[54] إلى عرق هندي آخر عاش بأهوار أحد الأنهار. ويصف أبناءه بأنهم يأكلون السمك النيئ دون طهي، الذي كانوا يصطادونه بقواربهم المصنوعة من القصب، ويسترون أجسادهم بلباس من السمار يقطعونها من حواف الأنهار ويقومون بتضفيرها معاً؛ لتشكل في النهاية ما يشبه الدرع الصدري. وأما النهر المشار إليه هنا فهو - دون مراء - نهر السند، وأما الأهوار التي وصفها هيرودوت فمن شأنها أن تكون دلتا نهر السند، وهو الموقع الأكثر احتمالاً لسكنى هؤلاء القوم. وأما القصب (κάλαμος) الذي كانت تصنع منه قواربهم، فمن الواضح أن عيدانه كانت طويلة بدرجة كافية،

وطول فرع واحد منها بين نقطتين - وفقاً لهيرودوت - كان كافياً لربطه والقارب. وبعبارة أخرى، إن كل قارب لابد أنه كان مصنوعاً من عدد من أعواد القصب، هذه تربط جنباً إلى جنب بعضها مع بعض. ويتحدث الطبيب كتيسياس Ctesias [55] عن نوع القصب نفسه (κάλαμος) هذا بقوله: إن العود منه كان من الطول؛ بحيث لابد لرجلين اثنين أن يمدا كلاً من ساعديهما ليتمكنا من الوصول إلى نهاية طرف الواحد منه. ووفقاً لكتيسياس كذلك، أنه كان في طول سارية السفينة. إن القصب المشار إليه هنا لا يمكن - كما أشار بذلك لاسين Lassen [56]، وهو محق في رأينا - أن يكون في امتداد الخيزران المعروف بطوله. وهو يرى أن هناك عنصراً مشابهاً له يسمى "Kana"، وكان ينمو حتى يبلغ طوله نحو خمسة عشر متراً.

وأما السمار (φλοῦς) الذي كانوا يرتدونه فيعتقد كل من هاو How وويلز Wells [57] أنه أنواع تعرف باسم "Arundo Ampelodesmos" [58]. وكونهم أنهم يأكلون السمك النيء دون طهي فربما يكون ذلك إقحاماً من هيرودوت ليضمن به سذاجتهم أو فطرتهم التي غلبوا عليها؛ نظراً لعدم معرفتهم إشعال النار، أو - وهو الاحتمال الأرجح - هو بيان دقيق عن أناس لايزالون يعيشون بفطرتهم على ضفاف نهر السند، دون تدخل من جيرانهم. هذا ما كان من اعتقاد لاسين ورؤيته Lassen [59] وكل من هاو How و ويلز Wells [60]، الذين أدلوا بدلوهم فيما يخص بيان هيرودوت عن أن هؤلاء القوم من "عرق درافيدي بدائي" [61]، عاشوا على ضفاف نهر السند، ويمكن أخذه دلالة على عدم وجود أية عناصر للعرق الهندو - إيراني عاشت في شمال - غرب الهند في ذلك الوقت. ويصف بوستانس Postans [62] قبيلة يطلق عليها اسم "ميانيس Mianis" عاش أهلها على ضفاف نهر السند في زمانه، بأنهم من ذوي البشرة الداكنة، وكانوا يستخدمون قصب النهر لصناعة السلال. ولو أنهم كانوا ينحدرون مباشرة من السلالة القديمة نفسها، فربما تكون بشرتهم الداكنة دلالة على انحدارهم من سلالة العنصر الدرافيدي. وعلى أية حال، لا شيء يمكن أن يؤكد حتى تؤخذ لكنتهم تحت مجهر الفحص لبيان دلالاتها. وأما عن مصدر المعلومة عن هذه

القبيلة، فمن المؤكد أن هيرودوت إما أنه استخدم المصادر الفارسية، انطلاقاً من أن هذه القبيلة الهندية عاشت داخل الحدود الفارسية، وإما أنه استقى معلومته من هيكاتيوس Hecataeus، والاحتمال الأخير هو الأقرب للصواب؛ نظراً لأنه من المعروف أن هيكاتيوس قد استعان بكتاب سكيلاكس Scylax، الذي يصف فيه وادي السند. أما أن يكون هيرودوت قد استخدم كتاب سكيلاكس مباشرة فهو – على أية حال – أمر بعيد الاحتمال؛ ذلك لأن هيرودوت في بيانه عن هذه الرحلة[63] لم يشر إلى سكيلاكس أو كتابه.

10 - البادئيون Παδαῖοι وأرضهم Παδαῖοι

يتحدث هيرودوت في هذا الجزء[64] عن عرق آخر يسمى "البادئيين **Παδαῖοι**" الذين عاشوا إلى الشرق من دلتا نهر السند. أما عن اسمهم، فوفقاً لكل من هاو How و ويلز Wells[65]، فربما اشتق من السنسكريتية " Padja" التي تعني "السيئ"، وهو ربما إشارة إلى عاداتهم الوحشية، أو ربما بالنظر إلى تشابه اسمهم مع عنصر آخر هو **Παδαῖοι**[66]، وربما كان اسمهم مشتقاً من السنسكريتية "Pandu" الذي يعني "أبيض"[67]، فيما هناك إشارة إلى أن هؤلاء القوم كانوا من العنصر الهندو – إيراني في أصلهم ومن ثم كانت لهم الصفة "أبيض" التي خلعها عليهم جيرانهم من العنصر الدرافيدي ذي البشرة الداكنة.

أما عن الموقع الجغرافي لهؤلاء القوم، فيعتقد – بشكل عام – أنهم إلى الشرق من دلتا نهر السند؛ حيث أقرهم هيرودوت[68] إلى الشرق من الهنود الذين يسود الاعتقاد أنهم سكنوا أهوار دلتا نهر السند[69].

وفي قسم من كتاب ميجاسثينيس Megasthenes[70] المعروف باسم Indica إشارة إلى أرض أطلق عليها اسم (Παδαῖοι) التي عرضت على أنها مرادفة لأرض البادئيين **Παδαῖοι**، وفي رأينا أن الأخيرة مشتقة من الأولى. وجدير بالذكر أن أرض (Παδαῖοι) قد أطلق عليها هذا الاسم بعد أن منحها الإله هيرقل Heracles هدية لابنته Pandaea (Παδαῖοι) لتحكمها[71]. كما

ذهب ميجاسثينيس Megasthenes إلى القول إن نساء هذه الأرض يلدن أطفالهن وهن في سن السادسة[72].

وكان تيبوللوس Tibullus [73] هو ثاني كاتب أشار إلى البادئيين **Παδαῖοι**[74]. وعلى أية حال، فإن كل ما قاله هو أن البادئي هو جار "فويبوس Phoebus" (ميكينوس فيبوس Vicinus Phoebo)؛ مما يعني أنه عاش في منطقة الطرف الشرقي من العالم؛ ذلك أن فويبوس أبوللو Phoebus Apollo كان هو إله الشمس.

كما تحدث بليني Pliny عن أرض **Παδαῖοι**. ويحتمل أنه اعتمد على ميجاسثينيس فيما أورده من بيان[75].

ويتحدث بطلميوس الجغرافي عن "أرض البادئيين [ἡ Πανδοούων χώρα][76]. ويبدو بيانه كذلك مشابهاً لما ورد عند ميجاسثينيس فيما رواه عن " أرض **Παδαῖοι** "لكنه غاير موقعها لتصبح في شمال – غرب الهند، عند نهر جيلوم Jhelum[77]. ولو أن هذه الأرض هي نفسها أرض **Παδαῖοι**، لكان الشيء الوحيد الذي يمكن استنتاجه من وصف بطلميوس هو أن البادئيين كانوا يعيشون في ذلك الوقت في أقصى الشمال من هذه المنطقة.

أما عن النظريات الحديثة، فإن البادئيين **Παδαῖοι** يتطابقون مع شعب الجوند Gonds الذين أقرهم لاسين Lassen إلى الجنوب – الشرقي من دلتا نهر السند[78]، مع كل من Vrātyas والبهللين Bhils اللذين عاشا إلى الجنوب – الشرقي من دلتا نهر السند عند كاربينتير Charpentie[79]، ومع شعب Pāndavas عند فو Vaux[80]، ومع شعب Pāndyas عند بوسكاس Puskas[81]. وعلى الرغم من تقارب شعوب كل من Gonds و Vrātyas و Bhils مع البادئيين **Παδαῖοι** الذين تحدث عنهم هيرودوت؛ وذلك نظراً لموقعهم، فإن ندرة أي تشابه بين هذه الأسماء وبين الاسم **Παδαῖοι** من شأنها أن تثير التساؤل. إن القبائل الوحيدة التي يمكن تصور أنها تتطابق مع أرض **Παδαῖοι** التي أشار إليها هيرودوت هي كل من Pāndavas و Pāndyas. ولقد أوضحت باربولا

Parpola [82] من خلال الأدلة المستمدة من المصادر الأدبية والآثارية أن Pāndavas سكنوا شمال الهند منذ القرن الثامن حتى القرن الخامس ق.م. قبل أن يواصلوا زحفهم للاستيطان صوب الجنوب.

وعلى أية حال، فموقع Pāndyas جنوب الهند في ذلك الوقت من شأنه أن يتطابق مع وصف بوليانوس Polyaenus عن أن **Παδαῖοι** إنما تقع صوب الجنوب، وأنها تشغل كل المنطقة وصولاً إلى البحر[83]، وكذلك يتطابق مع بيان هيرودوت عن كون أهلها عاشوا إلى الشرق من دلتا نهر السند[84]، آخذين في الاعتبار – كما أوضحنا سابقاً – قلة معرفة الأخير ومدى امتداد شبه القارة الهندية صوب الجنوب. ويقف الأرجح لدينا أن Pāndyas لم يكونوا من آكلي لحوم البشر وهو ما يجعل الصلة بينهم وبين **Παδαῖοι** ليست راجحة. والشيء الوحيد الذي يمكن قوله في هذا الصدد ترجيحاً هو أن هيرودوت كان يتحدث عن Pāndyas حين كان يصف البادئيين **Παδαῖοι**، وأنه ربط عادة أكل لحوم البشر بقبيلة أخرى، مثل Vrātyas على سبيل المثال، التي عاشت في المنطقة نفسها، كل ذلك إنما يوحي بصدق أن القبيلتين إنما هما قبيلة واحدة.

11 - النباتيون

أما القبيلة التالية التي أوردها هيرودوت في كتابه[85] فهي القبيلة التي لا ينثر أبناؤها البذور، ولا يبنون المساكن. والشيء الوحيد الذي يأكلونه هو العشب، ومن ثم يمكن وصفهم بأنهم من النباتيين، كما أنهم كانوا يجمعون نوعاً من الحبوب تنمو في ثمار طويلة، ثم يقومون بسلقها ويأكلونها بما فيها من قشر. وأما من ضعف منهم بين جموع القبيلة فينزوي بعيداً في الصحراء انتظاراً للحظة الموت، أو أن يتعافى فيعود أدراجه ثانية إلى القبيلة حتى تحين نهايته. لا أحد يتولى رعاية أحد هناك. وأخيراً، فقد أقرهم هيرودوت في أقصى الجنوب، ووصفهم بأنهم لم يكونوا يوماً رعايا للملك داريوس Darius.

كما تظهر مراحل تطور حياتهم البدائية في نواح عدة، مثل عاداتهم في غلي الحبوب وأكلها بقشرها[86]، وهي عادة تظهر – فيما يحتمل – افتقادهم

سبيل عجلة الطحن. أما بشأن عاداتهم بجعل الشخص المريض يترك مقامه واستقراره ليحيا وحيداً في العراء[87]، فهو يوحي بجهل أمور الطب، وعندها يكون تخوفهم من انتشار العدوى بينهم، أو اعتقادهم أن المرض إنما هو نتيجة للتلوث، وأخيراً تأتي عاداتهم بممارسة حياتهم الجنسية في العراء، "مثلهم في ذلك مثل قطع الماشية" (κατά περ τῶν προβάτων)، كما وصفهم بذلك هيرودوت[88].

وعن مسألة سكنهم في أقصى الجنوب وأنهم لم يكونوا يوماً رعايا للملك داريوس، يمكن أن يقرهم جنوب - شرق دلتا نهر السند، وهو الاحتمال الأرجح؛ إذ إن القسم الجنوبي لنهر السند - المعروف عند الفرس باسم "الهندوس Hindus"، - كان ضمن إمبراطورية داريوس[89]. ولا مجال هنا لمطابقتهم مع أي قبيلة هندية أخرى. ونظراً لطرائق حياة البراهميين من العنصر الهندو - إيراني ولون بشرتهم ومكان سكناهم إلى جانب الدرافيديين، فيبدو محتملاً افتراض كل من هاو How وويلز Wells من أن البراهميين والدرافيديين هم خليط لعنصر واحد، وهو الافتراض المنطقي الذي يمكن أن نقر به، وهو الراجح في هذه القضية.

12 - الهنود الشماليون

يتابع هيرودوت حديثه بعد ذلك عن قبيلة هندية، سكنت إلى الشمال من القبائل الهندية الأخرى[90]. ويذكر عن هؤلاء القوم أنهم يستقرون في الأراضي التي تقع إلى جوار كل من مدينة Caspatyros ومنطقة Pactyice، ولهم ملامح حياة أهل بكتيريا Bactria، كما كانوا مولعين بالحرب أكثر من أي قبيلة هندية أخرى، واهتموا كذلك باستخراج الذهب من حفره الموجود بها.

ولما كانت Pactyice تتطابق ومنطقة الشمال الشرقي من أفغانستان[91] وCaspatyros تتطابق وإحدى مدن كشمير Kashmie [92]، فإنه يبدو محتملاً أن الأرض التي يقطنها هؤلاء الهنود لابد أنها تقع في مكان بين هاتين المنطقتين. وبعبارة أخرى، لابد أنها تقع في مكان ما بوادي كابول Kabul والقسم الشمالي

من نهر السند. وحقيقة القول: بما أن الدارفديين - وفقاً لما رواه سترابو Strabo [93] - كانوا مسؤولين عن استخراج الذهب من أماكنه، فمن المرجح أن الهنود الشماليين الذين وردوا عند هيرودوت[94] هم أنفسهم الدارفديون الذين عاشوا في شمال - غرب الهند، وهم أنفسهم الذين يعيشون حالياً في المنطقة المعروفة باسم داردستان Dardistan. هذا التطابق يتوافق جيداً مع الوصف الذي أورده هيرودوت عنهم؛ إذ إن لهم طرائق الحياة نفسها لأهل بكتيريا؛ وذلك لأن أي شخص يعيش في هذا الجزء من الهند من المرجح أن يكون على تواصل مع البكتيريين، وعندئذ يمكن له أن يتأثر بهم.

وكونهم أكثر الهنود ميلاً للحرب يجعل من الممكن - كما أشار إلى ذلك ويلار Wheeler [95] - أنهم كانوا جزءاً من البناء القتالي لشعب الهندستان، الذي ينسب إليه حديثاً كل من المهراتاس Mahrattas والسيخ Sikh. ويشير كل من هاو How وويلز Wells [96] إلى أن هؤلاء كانوا هم الهنود الوحيدين ذوي الأصل الآري، الذين أشار إليهم هيرودوت كجزء من البراهميين[97]، وقد خالط بينهم وبين الهنود ذوي البشرة السوداء. أما الكفاءة في الحرب فمن المحتمل أن هؤلاء القوم كانوا من الهنود الذين شكلوا جزءاً من الجيش الفارسي؛ ذلك لأن موقعهم من شأنه أن يجعلهم ضمن الإمبراطورية الفارسية. ولو صح ذلك، لأمكن عندئذ القول إنهم كانوا يرتدون ملابس سيجت من القطن، واستخدموا أقواس حرب صنعت من القصب، وسهاماً ثقلت سنانها من الحديد[98]، وهي صفات خلعت كذلك على أهل بكتيريا، وهو ما من شأنه أن يقوي تطابق هؤلاء الهنود الذين أشار إليهم هيرودوت هنا[99] مع هؤلاء الموجودين في الجيش الفارسي. وبالنسبة إلى العنصر الأول - كما أشرنا سابقاً - كانوا أقرب إلى البكتيريين، ولو أنهم شكلوا جزءاً من الجيش الفارسي، فمن المحتمل عندئذ أنهم ارتبطوا بتربية الخيول واستخدام العربات؛ ذلك لأن هذين العنصرين الأخيرين - تربية الخيول واستخدام العربات، قد استخدمهما الهنود في الجيش الفارسي[100]. وعلى أية حال هناك شيء واحد في حكم المؤكد عن هؤلاء القوم، هو أنهم كانوا يدفعون الضرائب والعوائد المفروضة عليهم إلى الملك الفارسي، وذلك من خلال ما سماه هيرودوت " النمل الأسود"، وهو محور حديثنا التالي.

13- حيوان النمل الأسود

هذا النوع من الحيوانات كان هيرودوت أول من أشار إليه[101]. وتوصف هذه الحيوانات بأنها تعيش في الصحراء وتقذف عن غير قصد بالذهب، بينما تقوم بحفر عيون لها في الأرض. كما توصف بأنها أكبر من الثعالب لكنها أصغر من الكلاب، وهي تهاجم بضراوة أي شخص آخر يتسلل إلى مناطقها طمعاً في الذهب[102]. وأما عن الإجراء المتبع في الحصول على الذهب من هذه الحيوانات فيتضمن استخدام ثلاثة من الجمال السريعة، في شكل مثلث: ذكرين يمثلان قاعدة المثلث وأنثى وضعت للتو وليدها، وهي تمثل رأس المثلث، والثلاثة تتقدم نحو النمل الأسود في الصباح وحين تتوسط الشمس كبد السماء؛ حيث تعتاد حيوانات النمل الأسود القيلولة في هذا الوقت من النهار. وللحصول على الذهب، فإن على الجمال الثلاثة الركض بأقصى سرعة خشية أن تقع في براثن هذه الحيوانات. وعلى أية حال، فالوسيلة الوحيدة للفرار بالذهب هي التضحية بذكري الجمال باعتبارهما أقل سرعة من الأنثى؛ لأن الأخيرة سوف تركض أسرع منهما رغبة منها في العودة سالمة إلى رضيعها الذي تركته وراءها للتو. ويقول هيرودوت، لتصديق الرواية هذه: إن الملك الفارسي كان يمتلك بعض هذه الحيوانات التي تمكن من أسرها في الصحراء.

ويعتبر نيارخوس Narchus [103] الثاني من حيث الإشارة إلى هذه الحيوانات – النمل الأسود –[104]. ويذكر أنه رأى بالفعل جلود هذه الحيوانات:

(τῶν δὲ μυρμήκων τῶν χρυσωρύχων δέρματα)

ويصفها بأنها " أشباه النمور" (παραδαλέαις ὅμοια). وأن اللفظ "أشباه النمور" يرجح أنه جاء ليعني "التحفز"؛ ذلك لأن لوكيان Lucian [105] استخدم اللفظ نفسه (παραδαλωτός) في وصفه الرجل "متحفزاً" لفعل شيء ما. وأما المكان الذي رأى فيه نيارخوس هذه المخلوقات، فعلى الرغم من أن استرابون لم يشر إلى ذلك، فإنه كان معسكراً للإغريق؛ ذلك لأن أريان Arrian [106] يقول: إن نيارخوس لم يشاهد أياً من حيوانات النمل الأسود، لكنه شاهد فقط جلودها التي أحضرت من

هناك. ومن المحتمل أن هذا الحدث يتطابق مع بيان هيرودوت عن الملك الفارسي الذي امتلك بعضاً من هذه الحيوانات.

وكان موركروفت Moorcroft [107] أول من أشار إلى أن هذه الحيوانات هي من القوارض. وقام مالتيبرون Malte-brun [108] بجمع كل هذه النظريات، واقترح أن لكل منها دوره في تطور هذه الرواية.

وكان ويلسون Wilson [109] أول من لاحظ ظهور رواية هيرودوت في الملحمة الهندية المعروفة باسم Mahābhārata. وفيها إشارة إلى نوع من الذهب يعرف باسم "نمل-الذهب" الذي سمي بذلك الاسم بسبب الحيوانات التي تحفر الأرض وتخرجه من معينها[110]. وبهذا يخلص ويلسون إلى أن للقصة أصلاً هندياً، وأنها ببساطة قد تطورت من هذا الأصل الهندي على أيدي الكتاب الإغريق.

واعتبر كونينجهام Cunningham [111] أن الحيوانات التي تناولها الكتاب الإغريق هي من القوارض، وأضاف إليها الجرذان البرية القادمة من التبت Tibet، مفترضاً أن ما تقذفه هذه المخلوقات إلى سطح الأرض شمل - من بين ما شمله - الذهب الذي كان الهنود يجمعونه، وهو طقس لايزال الهنود يمارسونه حتى زمانه. وبعبارة أخرى، فإن كونينجهام يشير إلى التبت على أنها أصل الرواية.

وأما رولاندسون Rawlandson [112] فكان أول من افترض مناجم التبت كتفسير لرواية حيوانات النمل الأسود. وهو ما لقي تأييداً لدى شايرن Schiern [113] الذي افترض أولاً أن الفقرة التي وردت في الملحمة الهندية Mahābh التي أشار إليها ويلسون Wilson هي إشارة إلى قبيلة تدعى "Khāsas"، وهي أسلاف شعب "Khasiyas" الحالي، الذي يعيش على حدود هضبة التبت. ويقترح أن الموقع الذي ذكره هيرودوت - فيما يخص هذه الحيوانات - هو الصحراء (ἐρημίη)، وكذلك فإن إشارة استرابون إلى الهضبة أو التل القريب من مكان استيطان هذه الحيوانات، الذي يرتفع إلى ثلاثة آلاف ستاديا Stadia عن سطح البحر إنما هي إشارة إلى هضبة موجودة بالفعل في إقليم التبت وتشتمل على حقول الذهب. وكان من عادة عمال مناجم الذهب هناك ارتداء

الفراء في أثناء فصل الشتاء، وعندما يتبادلون التحية يخرج بعضهم لبعض ألسنتهم بابتسامة عريضة، وحك الأذن، وحين يخلدون إلى النوم يقومون بتكوير أجسادهم على شكل كرة، وهم يعيشون في تجاويف تبلغ الواحدة منها بين سبعة وثمانية أقدام (نحو مترين) تحت الأرض. ويستمر شايرن في وصفه وافتراضه فيذكر أن هؤلاء القوم يفضلون العمل في أثناء فصل الشتاء أكثر من فصل الصيف، وهو ما يتطابق مع ما ذكره ميجاثينيس[114] وبليني[115] عن عمل حيوانات النمل الأسود[116]. ويمكن تفسير عدوانية هذه الحيوانات - كما يفترض بذلك شايرن - بأن سكان التبت من عمال المناجم هناك كانوا يعيشون على الصيد وتربية الكلاب الضارية لمطاردة الحيوانات المتسللة عليهم، وهو أمر ربما اختلط نسجه مع من تناول هذه الروايات من الكتاب الإغريق. ويختتم شايرن سلسلة افتراضاته بتأكيد الملاحظة التي أبداها بليني[117] من أن وجود قرون لحيوان هندي في معبد الإله هرقليس في ليتري Litri (Erythrae) من الممكن أن يكون ثور التبت الذي يرتدي عمال المناجم هناك جلوده.

واقترح لافير Laifer [118] أن كل الرواية الخاصة بحيوانات النمل الأسود إنما هي تطور شابه خلط بين اسمي " Shiraighol "، وهي قبيلة منغولية، و" Shirgol "، وهي الكلمة المنغولية التي تعني "حيواناً". وأشار ريجينوس Regenos [119] إلى أن الحيوانات التي أشار إليها هيرودوت وغيره من الكتاب القدامى إنما تشير - فيما يرجح - إلى حيوان استعمل أهل المنطقة من عمال المناجم فروه رداء. أما بوسكاس Puskas [120] فيتحفظ على كل من تناول سيرة حيوانات النمل الأسود سواء من الكتاب الإغريق أو الهنود؛ القدامى منهم والمحدثين، ويرى أن هذه الحيوانات ربما لم يكن لها أصل في الواقع الملموس، ويرجح أن كميات الذهب المستخرج إنما خرجت من منطقة داردستان Dardistan. وبالنسبة إلى بوسكاس، فإنه يذهب إلى أن هذه الرؤى فشلت في تفسير مميزات حيوان النمل الأسود وخصوصياته. وحتى نظرية عمال مناجم التبت من الصعب قبولها - والكلام لايزال لبوسكاس - لسبب أساسي هو أن تاريخ التبت نفسه لم يبدأ فعلياً حتى القرنين السادس و السابع الميلاديين.

ويفترض بوسكاس أنه في منطقة داردستان – وربما منذ الألفية الثالثة ق.م – كان الناس يجمعون الذهب من تحت سطح الماء، وهو على شكل حبيبات، ويصدر كذلك بهذا الشكل إلى بلدان أخرى عديدة، مثل سومر والهند. وهذا الذهب – بموجب حجمه وشكله – انفرد بالاسم " نمل – الذهب" . ويقترح بوسكاس، أن كل الروايات التي تناولت مسألة حيوان النمل الأسود قد تطورت إما نتيجة مباشرة يعكسها الاسم الذي أطلق عليه، وإما من الطريقة التي استخدمها عمال مناجم الذهب هناك لاستخراجه ووضع بعضه فوق بعض. ولما كانت رواية التبت هذه الخاصة بحيوان النمل الأسود – والكلام لايزال لبوسكاس – تتحدث عن حيوانات تحصل على الذهب من أعماق إحدى البحيرات بسحبه خارجاً، فمن المرجح أن الروايات المتعددة لهذه الحيوانات قد تبنت لنفسها تطوراً مستقلاً تصدت من خلاله لتفسير معنى هذا الاسم الغريب. والحق أن التشابه الوحيد الذي تتشارك فيه الروايات اليونانية والهندية، وحتى رواية أهل التبت، هي أن هذه الحيوانات هي التي كانت مسؤولة عن الحصول على الذهب، وهو ما يجعل رأي بوسكاس أكثر إقناعاً ممن سواه.

14 - خاتمة

لقد أفسح بيان هيرودوت عن الهند المجال للباحثين المحدثين المنشغلين بدراسة هذه البقعة من الأرض لتكوين فكرة عن هذا البلد في تلك الفترة الزمنية البعيدة. ولم يكن مدركاً فقط وجود جزء من هذا البلد داخل الحدود الفارسية، يدفع ضريبة سنوية من الذهب للملك الفارسي ولكنه كان على معرفة أيضاً بامتداد حدوده صوب الجنوب. وكان هيرودوت على علم كذلك بطبوغرافية المكان؛ لكونه أشار إلى صحراء الهند الكبرى وإلى نهر السند الذي يتدفق في ربوعها ويمد سكانها بالذهب. وكان على دراية كذلك بحرارة جوها ولم ينسق إلى زعم أن هذه الأرض تقبع على الحافة الشرقية من العالم، وإن إسرافه في وصف حجم حيواناتها له ما يبرره من ثراء هذا البلد بما يستخرج منها من ذهب.

ويأتي اعتقاد هيرودوت بأن الهنود لا يتحدثون اللغة نفسها ليظهر – على

الأقل – دراية جزئية بوجود اللغة الهندو–آرية Indo-Aryan والدرافيدية. وتظهر دراية هيرودوت كذلك من إشارته إلى وجود هنود ذوي بشرة سوداء يعيشون إلى أقصى الجنوب، فيما وراء حدود الإمبراطورية الفارسية. ولا شك في أن هذه الإشارة لها دلالاتها؛ إذ إنها تظهر دراية هيرودوت في امتداد شبه القارة الهندية صوب الجنوب وأن الجزء الجنوبي من نهر السند كان ينتمي بالفعل إلى إمبراطورية داريوس عند نقطة واحدة، ومن ثم لم يكن هناك مكان لسكن هؤلاء الناس تحت مظلة دولته.

كما أن إشارته إلى ساكني النهر تظهر أنه كان على دراية – على الأقل – ببعض عادات الذين يقطنون في دلتا هذا النهر. ويعكس بيانه عن الباديين معرفته بقبيلة هندية عاشت في ذلك الوقت وهي قبيلة البانيديين Pandyas، وإن كان قد أسبغ عليهم عادات آكلي لحوم البشر، التي ثبت أنها لم تكن لهم وإنما ربما لقبيلة أخرى في المنطقة نفسها. وإن إقراره للباديين إلى الشرق من دلتا نهر السند من شأنه أن يعكس دراية من جانبه بوجود بعض الهنود الذين عاشوا إلى الشرق من هذا النهر. وأما إشارته إلى "النباتيين" فربما تظهر – على الأقل – معرفة – وإن قلت – عن الرهبان البوذيين أو طائفة البراهميين الهندية، ولو صح التاريخ المنسوب عنهما من القرن الخامس ق.م. لكان النباتيون بين إحدى هاتين الطائفتين، وكذلك، لو صحت نظرية لاسين Lassen، فربما تشير إلى خلط – إما من جانب هيرودوت أو من المصدر الذي اعتمد عليه – فيما يخص عنصري الهندو–آرية والدرافيديين. أما بالنسبة إلى الهنود الذين عاشوا إلى الشمال، فيبين هيرودوت معرفة واسعة بعاداتهم؛ لكونهم عاشوا في كنف الإمبراطورية الفارسية، ومن ثم فقد أمدنا بمعلومات وفيرة عن واحدة من أشهر القبائل الهندية آنذاك.

ولاشك أن مصادر هيرودوت قد تنوعت؛ فعلى الأرجح أنه استعان بهيكاتيوس Hecataeus للحصول على معلومات عن صحراء الهند الكبرى، وكذلك ما يتعلق بسكان دلتا نهر السند. ولابد أنه استقى بعض معلوماته من الفرس، الذين كانوا على دراية أكثر من غيرهم عن الهند التي قبعت داخل حدود دولتهم. أما ما يخص الهند التي كانت خارج سلطان الإمبراطورية الفارسية،

فلعل هيرودوت استقى معلوماته عنها من الفرس أيضاً، الذين ربما استقوا هم أنفسهم معلوماتهم من الهنود الذين كانوا رعايا الحكم الفارسي، أو من هيكاتيوس، وربما من البحارة الذين أبحروا في نهر الغانج Ganges.

أما بالنسبة إلى بيان هيرودوت عن أسطورة حيوان النمل الأسود، فمن المحتمل أنه استقاها مباشرة من الفرس، أو من التجار أو الرحالة الذين كانوا يفدون إلى الهند. وهذه الأسطورة تظهر - على الأقل - أن هيرودوت لم يختلق كل الرواية، وإنما كان للأسطورة أصولها في بلد عرفها هيرودوت وضمنها في فصول عدة من عمله. وجاء تصويره لطبوغرافية المكان، ومناخها، والحيوانات الموجودة على أرضها، وحتى أسطورة حيوان النمل الأسود - ليظهر أن هيرودوت لم يختلقها وإنما كان راوياً لمعلومات متواترة.

ملحق 1

حيوان النمل الأسود يحفر بحثاً عن الذهب. نقلاً عن:

Kvan, D. K. McE. : Antlion ante Linné: [Myrmekoleon] to Myrmeleon (Insecta: Neuroptera: Myrmeleonidae [sic]). pp. 203-232 in Current Research in Neuropterology. Proceedings of the Fourth International Symposium on Neuropterology. Bagnères-de-Luchon, France, 1991. M. Canard, H. Aspöck, and M. W. Mansell, eds. Toulouse, France.

ملحق 2

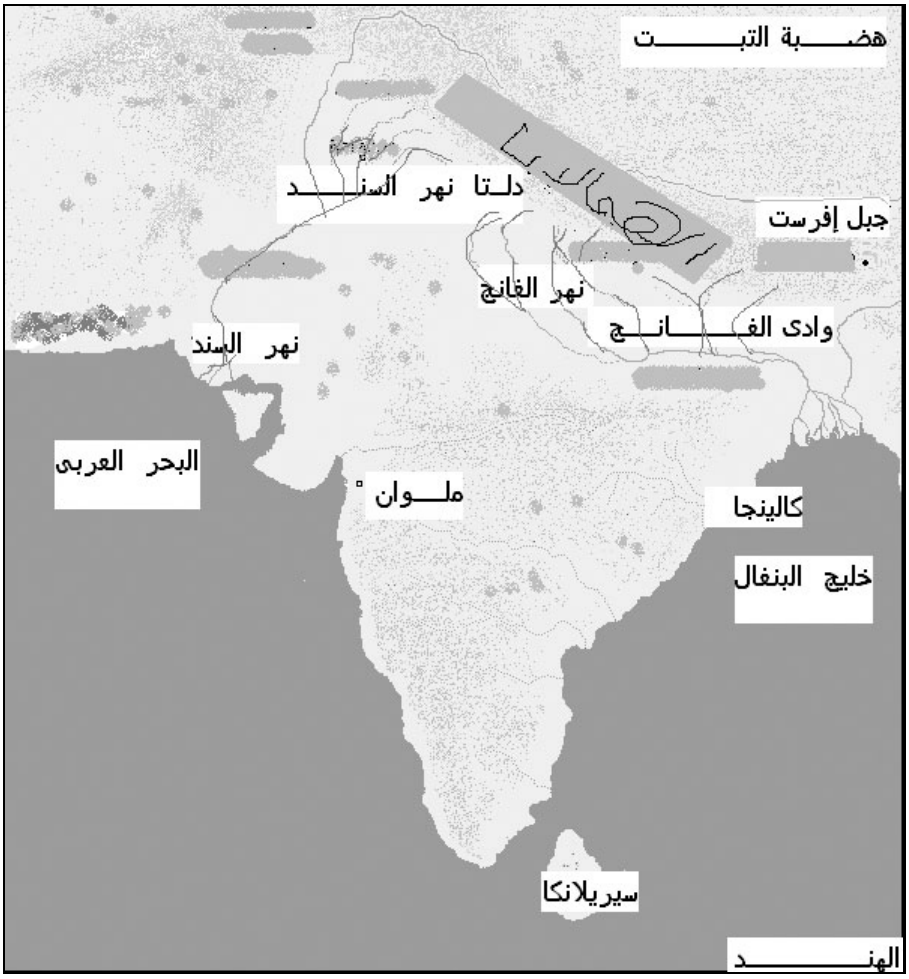
هضـــبة التبـــــت
دلـتا نهر السنـــــد
جبل إفرست
نهر الغانج
وادى الغـــــانـــج
نهر السند
البحر العربى
ملـــوان
كالينجا
خليج البنغال
سيريلانكا
الهنـــــــد

الهوامش والمراجع

(1) - Dionysius of Halicarnassus: **On Thucydides**, Translation with commentary: W.K. Pritchett, Berkeley: University of Calefornia Press, 1975, 5.

وعن البيئة الجغرافية لهاليكارناسوس وما يحيط بها كوطن لهيرودوت انظر:

- Thomas, R.: **Herodotus in Context: Ethnography, Science and the Art of Persuasion,** Cambridge: Cambridge University Press, 2002, pp.13-14.

(2) - Gellius, Aulus: **Attic Nights (Noctes Atticae), The Attic Nights of Aulius Gellius,** Cambridge (Mass.): Harvard University Press, 1961, 15.23.

(3) - On Thucydides, p. 56.

(4) - Herodotus of Halicarnassu: **Histories**, Cambridge (Mass.): Harvard University Press, 1963, 7.137.

وهذا - حقيقة – هو الدليل المادي الوحيد لهيرودوت في تواريخه Histories، وتشير إلى أواخر عام 430 ق.م. وعلى أية حال، يسود الاعتقاد بشكل عام بين الباحثين الذين يقارنون صفحات أخرى عند هيرودوت بالدراسات الحديثة ليفترضوا كون هيرودوت ربما نشر مؤلفه أواخر عام 425 ق.م. وربما بعد هذا التاريخ أيضاً. وقد عرض سانسون Sansone لكل هذه الافتراضات فى دراسته، انظر:

- Sansone, D: ''The Date of Herodotus' Publication'', **Illinois Classical Studies** 10.1, 1985, pp.1-9.

وهو يرى أن الكتب الأربعة الأولى وبداية الكتاب الخامس لهيرودوت قد خرجت للنور قبيل منتصف عام 420 ق.م. وأما باقي مؤلف هيرودوت فقد خرج إلى النور نحو نهاية فترة الحرب الأرخيميدية (421 ق.م.).

بيد أن إيفانز Evans في دراسته:

- Evans, J.A.S: ''Herodotus' Publication Date'', **Athenaeum:** 57, 1979, pp.145-149.

يفترض أن هيرودوت أخرج تواريخه للنور – على الأقل - في نهاية عام 424 ق.م. وليس بعد ذلك.

ويرى فورنارا Fornara, Ch., في دراستين له على الترتيب:

- Fornara, Ch: ''Evidence for the Date of Herodotus' Publication'', **JHS**: 91, 1971, pp.25-34.
- Fornara, Ch., ''Herodotus' knowledge of the Archidamian war'', **Hermes**: 109, 1981, pp. 149-156.

وهو يقترح أن هيرودوت أخرج تواريخه للنور حتى بعد عام 414 ق.م.

(5) - Histories, 3.60.

(6) - Histories, 3.5.

(7) - Histories, 2.44.

(8) - Histories, 1.178-183..

(9) - Histories, 5.77.

(10) - Histories, 4.15, 4.99.

(11) - Histories, 3.105.

حيث أشير إلى الفرس مرتين كمصدر لمعلوماته.

(12) كل إشارات هيرودوت إلى الهند وكل مظاهر الحياة فيها نجدها على الترتيب في:

- Histories, 1.192, 3.38, 3.94, 3.97-102, 3.104-106, 4.40, 4.44, 5.3, 7.65, 7.68, 7.85-86, 7.187, 8.113, 9.31.

(13) - Histories, 3.98, 3.106, 4.40.

(14) - Histories, 3.98, 4.40, 3.102.

وهذه الصحراء التي أشار إليه هيرودوت في (Histories, 3.102) ربما هي الصحراء ذاتها التي تقع – وفقاً لما أورده هيرودوت – إلى الشرق من الهند. ولو صح ذلك، لبدا من هذه الفقرة أنها امتدت، في فكر هيرودوت، إلى شمال الهند.

(15) ومن الحري بنا أن نلاحظ – على أية حال – أن هيرودوت – على الأقل – كان على علم ببلاد الهند التي تقع خارج الحدود الفارسية لكونه يشير إلى سلالة هندية محددة عاشت إلى الجنوب، لكنها لم تكن أبداً خاضعة لسلطان الملك داريوس (Histories, 3.101) جنباً إلى جنب مع بلد آخر كان يقع إلى الشرق من بلاد السند .Indus (Histories, 3.99)

(16) - Histories, 3.98.

ينبغي الإشارة هنا إلى أن قائمة الولايات عند هيرودوت تختلف عن قوائم السكان تحت الحكم الفارسي التي يمكن متابعتها في السجلات والآثار الفارسية. انظر فى ذلك:

- Armayor, K: ‘‘Herodotus’ Catalogues of the Greek Literary Tradition’’, **TAPA**: 108, 1978, pp.1-9.

وقد تحرى أرمايور Armayor الدقة في دراسته، ووصل إلى أن هيرودوت غافله الصواب في قائمة ولاياته التي وضعها. كما افترض كذلك أن القائمة الفارسية هي القائمة الصحيحة، وأن قائمة هيرودوت ليست إلا الفكرة الإغريقية عن عدد الولايات الفارسية وأنواعها. بيد أن هناك افتراضاً مغايراً تصدى له كاميرون Cameron فى دراسة له بعنوان:

- Cameron, G: ‘‘The Persian Satrapies and Related matters’’, **JNES**: 32, 1973, pp.47-56.

حيث يعتقد كاميرون Cameron أن القائمة الفارسية هي مجرد وصف لشعوب عديدة تحت الحكم الفارسي، وأن قائمة هيرودوت، في الحقيقة، هي بيان دقيق للولايات الفارسية التي وجدت خلال هذه الفترة.

(17) - Histories, 3.94.

(18) - Histories, 3.106.

(19) - Histories, 3.106.

لم يكن هيرودوت محدداً أي نهر كان يعني، سواء كان نهر السند نفسه أو أحد روافده.

- Tarn, W: **The Greek in Bacteria and India**, Cambridge: Cambridge University Press, 1966, p.108. (20)

- Cunningham, A: **Ladãk,** New Delhi: Sagar Publications, 1970, pp.232-233. (21)

(22) وهذا على النقيض مما يراه تارن، معتمداً في رأيه على بليني Pliny 33.21.66 من أن منطقة أعالي نهرالغانج Ganges وروافده هي التي تدر الذهب. انظر:

- The Greek in Bacteria and India, p.108.

- Lassen, C: **Indische Altertumskunde**, Osnabrück vol.I:1, section 238. (23)

- How, W., and Wells, J: **A commentary on Herodotus**, vol (1), Oxford: The Clarendon Press, 1928, p.290. (24)

- The Greek in Bacteria and India, p.108. (25)

- The Greek in Bacteria and India, p.108. (26)

- The Greek in Bacteria and India, p.108. (27)

- Arrian, Flavius, **Anabasis of Alexander,** Cambridge: Harvard University Press, 1976, 5.4.4. (28)

- Histories, 3.106, 7.65. (29)

(30) كما أشار هاو وويلز How & wells إلى أن قول هيرودوت بأن القطن ينمو على الأشجار هو قول جانبه الصواب؛ لأنه في الحقيقة – نبات ينمو على الشجيرات الصغيرة. انظر:

- A commentary on Herodotus, p.290.

- Histories, 3.106. (31)

- Theophrastus: **Research on Plants**, Cambridge (Mass.): Harvard University Press, 1961, 4.7.7. (32)

- Histories, 3.47. (33)

- Histories, 3.104. (34)

(35) أي نحو العاشرة صباحاً وفقاً لما ذكره هاو و ويلز. انظر:

- A commentary on Herodotus, p.290.

- A commentary on Herodotus, p.290. (36)

- Cary, A., "Herodotus III. 104", **Class. Rev**: 33, 1919, pp.148-149. (37)

- Chapter 19. (38)

- Histories, 3.106. (39)

(40) وعن هذه الخيول انظر:

- Histories, 7.40.

(41) - A commentary on Herodotus, p.290.

(42) - Histores, 7.86.

(43) - A commentary, on Herodotus, vol 2, p.159.

(44) بيريسبوليس أو تخت جمشيد هي عاصمة الإمبراطورية الأخمينية (330-550)ق.م.

(45) - Histories, 1.192, 7.187.

(46) - Histories, 1.192.

(47) - Histories, 7.187.

(48) لتفصيلات كاملة عن هذه الكلاب انظر:

- Ctesias: **Indica**, Summary of text made by Photius in his Bibliotheca to be found in Henry, R., Ctésias, La Perse, l'Inde. Les Sommaires de Photius, Bruxelles: Office de Publicité, S.C., 1947, 45b.5.13-14.
- Aristotle: **Generation of Animals**, Cambridge (Mass.): Harvard University Press, 1963,746 a 34.
- Aristotle: **History of Animals**, Cambridge (Mass.): Harvard University Press, 1965, 607 a 4ff, Parts of Animals 1.3.643 b, Physical Problems 10.45/895b.
- Strabo: **The Geography of Strabo**, Cambridge (Mass.): Harvard University Press, 1960, 15.1.37.
- Pliny the Elder, **Natural History**, Cambridge (Mass.): Harvard University Press, 1961, 8.61.148.

(49) - Histories, 3.94, 2.

- Branscome, D: ''Herodotus and the Map of Aristagoras'', **Classical Antiquity:** 29. 1, 2010, p.18.

(50) هو شارلز فورستير سميث Charls Forster Smith مترجم كتاب توكيديديس Thucydided المعروف باسم التواريخ Histories انظر:

- Smith, C.F: **Thucydides' Histories**, Cambridge (Mass.): Harvard University Press, 1962, vol. 1, no4, p.227, n.4.

(51) - A commentary on Herodotus, p.287.

(52) - Thucydides' Histories, 2.97.5.

والسكوثيون هم شعب بدوي متنقل ينحدر من أصول إيرانية، حل محل السيريين الذين كانوا قد جاؤوا من سهول روسيا، وقد نزح السكوثيون من سهول أوراسيا إلى جنوبي روسيافي القرن 8 ق.م، واستقروا بغربي نهر الفولجا شمال البحر الأسود؛ حيث كانوا على صلة بالمستعمرات الإغريقية حول البحر الأسود، التي تعرف اليوم بشبه جزيرة القرم (أوكرانيا حالياً). وقد تمكن السكوثيون من تأسيس إمبراطورية غنية وقوية استمرت لقرون عديدة قبل أن يخضعوا للسارماتيين بين القرنين الرابع قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي.

(53) سوف يأتي الحديث لاحقاً حول بيان أورده هيرودوت عن قبيلة هندية (Histories, 3.100-101) حملت معها في كيان واحد كلا العنصرين أو العرقين اللذين سبقت الإشارة إليهما هنا، بيد أن وصفهم لابد أنه جاء نتيجة الخلط من جانب هيرودوت بين كلا العنصرين الهندو-إيراني والدرفيدي.

(54) - Histories, 3.98.

(55) - Indica, 45b.6.24-26.

(56) - Lassen, C: **Indische Altertumskunde**, Osnabrück 1968, vol. 2:1, section 633;

- Sedlar, Jean W: **India and the Greek World; A study in the transmission of culture**, New Jersey: Rowan and Littlefield, 1980.

(57) - A commentary on Herodotus, p.288.

(58) وانظر كذلك:

- Watson L, Dallwitz MJ: "The grass genera of the world: descriptions, illustrations, identification, and information retrieval; including synonyms, morphology, anatomy, physiology, photochemistry, cytology, classification, pathogens, world and local distribution, and references" (2008).

(59) - Indische Altertumskunde, vol. 1:1, section 3ff.

(60) - A commentary on Herodotus, p.286.

(61) - A commentary on Herodotus, p.286.

(62) - Postans, T: **Personal Observations on Sindh**, London: Longman Brown, Green and Longmans, 1843, p.60.

(63) - Histories, 4.44.

(64) - Histories, 3.99.

(65) - A commentary on Herodotus, p.288.

(66) سيأتي الحديث عنه في السطور القادمة.

(67) وهو ما أشار إليه كارتونين .Kartunnen انظر:

- Kartunnen, K: ''India in Early Greek Literature'', **Studia Orientalia**: 65, 1989, p.203.

(68) - Histories, 3.98.

(69) جاء بيان هيرودوت على النحو التالي:

(Ἄλλοι δὲ τῶν Ἰνδῶν πρὸς ἠῶ οἰκέοντες τούτων νομάδες εἰσὶ κρεῶν ἐδεσταὶ ὠμῶν, καλέονται δὲ Παδαῖοι...)

(أما الهنود الآخرين الذين عاشوا إلى الشرق من ذلك [أي قاطني دلتا نهر السند] فهم بدو وآكلو نييء الأسماك ويطلق عليهم اسم البادئيين Padaei . .

وإن كان كارتونين Kartunnen اقترح الترجمة التالية:

" يوجد غير هؤلاء من الهنود يعيشون فى الشرق"، وهذا يفيد أن البادئيين Padaei لم يعيشوا بالضرورة إلى الشرق من دلتا نهر السند. بيد أن النص اليوناني يفيد عكس ذلك ويقترب مما عرضنا له من ترجمة.

(70) ميجاسثينيس Megasthenes (Μεγασθένης) إغريقي مهتم بعلم الأجناس، عاش في الفترة من 350 حتى 290 ق.م. وهو المؤلف لكتاب Indica (Ἰνδικά). عاش في العصر الهللنستي وأصبح رسولاً خاصاً للملك السلوقي سلوقس Seleucus الأول إلى الهند. انظر:

- Vassiliades, D: **The Greeks in India: A Survey in Philosophical Understanding**. New Delhi: Munshirm Manoharlal Pub Pvt Ltd, 2000.

وقد قام جاكوبى Jacoby بجمع شذرات كتاب ميجاسثينيس، وضمنها في الجزء الثالث من كتابه:

- Jacoby, F.: **Die Fragmente der Griechischen Historiker**, Leiden: E.J. Brill, 1957, 3, pp.603-639.

- Die Fragmente der Griechischen Historiker, vol. 3: C: 2, pp.617-618. (71)

- Die Fragmente der Griechischen Historiker, vol. 3: C: 2, p. 618 (72)

(73) هو شاعر لاتيني (نحو 55 – 19 ق.م.).

- Tibullus: **Panegyricus Messalae**, Cambridge (Mass.): Harvard University Press, 1962, 4.1.144-145. (74)

- Natural History, 6.23.76. (75)

حيث إن ما ذكره تقريباً هو ما جاء عند ميجاسثينيس: من أن الإله هرقل منح هذه الأرض لابنته لتحكمها. وزاد على ذلك قائلاً: إن هذه الأرض كانت تحكمها سيدة من نسل ابنة الإله هرقل.

- Ptolemy, Claudius, **Geography**, Ed. By C.F.A. Nobbe, Lipsia: Suptibus Succ. Ottonis Holtze, 1883, 7.1.46. (76)

(77) نهر جيلوم Jhelum هو أحد مصبات نهر السند، وقد أطلق عليه الإغريق اسم نهر Hydaspes.

وأما بوليابنوس Polyaenus، فهو كاتب يوناني عاش في القرن الثاني الميلادي. وقد اشتهر بكتابه عن حيل (Stratagems) Στρατηγήματα الحرب. وعنه انظر:

- Brodersen, K. , **Polyainos**. Neue Studien, Berlin 2010.

فقد أمدنا بمعلومات أكثر تفصيلاً، ربما سطرها بنفسه أو استعارها من ميجاسثينيس (1.3.4)، عن موقع Παδαῖοι. وأما التشابه بين بيان بوليابنوس وما أورده ميجاسثينيس فيتمثل في كون هذه الأرض منحها هرقل لابنته لتحكمها، بيد أن بوليابنوس زاد على ذلك بأن فسر كيف لهذه الأرض "أن امتدت نحو الجنوب وشملت كل ما دونها حتى البحر" "μεσημβρίαν καθήκουσαν εἰς θάλασσαν"، وهو وصف يمكن القول إنه يطابق جيداً ما عرضه هيرودوت عن موقعها إلى الشرق من دلتا نهر السند. كما أشار

سولينوس Solinus، وهو نحوي ومؤلف لاتيني عاش في القرن الثالث الميلادي، كذلك إلى أرض Pandaea (52.6-17). وعلى أية حال، فإن كل ما قاله هو أن هذه الأرض كانت ابنة هرقل، التي كانت الحاكم الأول عليها، ثم صارت تحكم من قبل النساء بعد ذلك، وهي تفاصيل تشابه في مضمونها وصف بليني (6.23.76) وهي، عندئذ، يمكن أن نقول إنها استمدت مصدرها من نص ميجاسثينيس.

- Indische Altertumskunde, vol.I:2, section 635. (78)

- Charpentier, J: ''Über Rudra - Siva'', **Wiener Zeitshrift für die Kunde des Morgenlandes**: 23, 1909, p.158. (79)

- Vaux, W: **Dictionary of Greek and Roman Geography**, London: Walton and Maberly, 1854, vol. 2, s.v. ''Pandae''. (80)

- Puskas, I: ''Mahābhārata - Motifs in Classical Greek and Roman Sources'', **Fourth World Sanskrit Conference of the I.A.S.S.,** Weimar 1979, pp.257- 262; (81)

- Puskas, I., ''Herodotus and India'', **Oikumene**: 4, 1983, p.205.

- Parpola, A: ''On the Haiminiya and Vādhûla traditions of South India and the Pāndu/ Pāndava problem'', **Stud. Orient**: 55, 1984, pp.457ff. (82)

- Polyaenus, Stratagems 1.3.4. apud McCrindle, J.W., Ancient India as described by Megathenes and Arrian, Calcutta: Shcukervertty, Chatterjee, and co., Ltd., 1960, pp. 163-164. (83)

- Histories, 3.99. (84)

- Histories, 3.100-101. (85)

ووفقاً لما أورده لاسين، فإن نظام غذائهم النباتي يجعلهم متماثلين مع طائفة نساك البراهمان Brahman. بيد أن المشكلة التي تصاحب هذا التطابق هي أن طائفة البراهمان Brahman لم تتقبل النباتية طريقة حياة إلا بعد أن تأثرت بالبوذية Buddhism. وبعبارة أخرى، فإن رهبان البوذية مارسوا طرائق الحياة النباتية قبل أن يقوم بذلك طائفة البراهمان. وعلى أية حال، فقبل أن يفصل القول فى أى تطابق بين قبيلة هيرودوت هذه وبين البوذيين، ينبغي لنا أن نفترض أولاً أن الرهبان البوذيين كانوا يمارسون طرائق الحياة النباتية منذ بواكير القرن الخامس ق.م.، لكون نظام الحياة هذا لم يوجد بين البوذيين منذ بداية نظم حياتهم الدينية. وعندئذ، فلو ثبت كون الرهبان البوذيين مارسوا طرائق الحياة النباتية فب القرن الخامس ق.م.، لكان من شأن فقرة هيرودوت أن تكون أول إشارة لرجل غربي يتحدث عن البوذية والبوذيين، أو حتى عن طائفة البراهمان في الهند لو أن تأثير البوذية قد طالهم في هذا التاريخ المبكر. انظر:

- Indische Altertumskunde, vol.I:2, section 635.

ولو ثبت صحة هذه النظرية وصح كلام لاسين Lassen، لأمكن القول عندئذ إن بيان هيرودوت عن هذه القبيلة إنما يشير إلى شعبين مختلفين، فبالنسبة للبراهمانيين فقد عرفوا أنهم ينتمون إلى العنصر الهندو - إيراني، وهم من ثم ذوو بشرة بيضاء، وهي حقيقة تصطدم مع وصف هيرودوت لهم بكونهم من ذوى البشرة السوداء. كما أن إقرارهم، كذلك، صوب

الجنوب، وهو وصف يميل أكثر إلى العنصر الدراويدي القاطن صوب الجنوب أكثر من العنصر الهندو - إيرانى القاطن صوب الشمال، وهو ما يقوي من افتراض أنهم كانوا عنصرين اثنين، وهو ما أشرنا إليه هنا. وعلى الرغم من أنه من الممكن لهذه السمات أن يتم تطبيقها من قبل الكتاب القدماء، فإن أن تصور هيرودوت بشأن هؤلاء القوم وخلطهم بأخرين يبقى احتمالية كونهم كانوا من ذوي البشرة الداكنة.

(86) - Histories, 3.100.

(87) - Histories, 3.100.

(88) - Histories, 3.101.

(89) - Vaux, W.: Dictionary of Greek and Roman Geography, vol. 2, s.v. ‘‘Gandarae’’.

(90) - Histories, 3.102.

(91) - Wilson, H: **Ariana Antiqua : A Descriptive Account of The Antiquities and Coins of Afghanistan,** London: Published under the authority of the honourable the court of directors of the East India Company, 1971, p. 136.

(92) - Ariana Antiqua: A Descriptive Account of The Antiquities and Coins of Afghanistan, pp. 136-137.

(93) - The Geography of Strabo, 15.1.44.

(94) - Histories, 3.102.

(95) - Wheeler, J: **The Geography of Herodotus**, London: Longman, Brown, Green, and Longmans, 1854, p.300.

(96) - A commentary on Herodotus, 1, p.289.

(97) - Histories, 3.100.

(98) - Histories, 7.65.

(99) - Histories, 3.102.

(100) - Histories, 7.86.

(101) - Histories, 3.102, 104-105;

- Rood, T: ‘‘Herodotus and Foreign Lands’’, **The Cambridge Companion to Herodotus**, Edited by Dewald, C. and Marincola, C., Cambridge: Cambridge University Press, 2007, p.297.
- Welser, C: ‘‘Two Didactic Strategies at the End of Herodotus’ Histories (9.108-122)’’, **Classical Antiquity**: 28. 2, 2009, pp. 359-385.

(102) - Simons, M: "Gold-Digging Ants' Mystery Seems Solved, After Bugging Scholars for Centuries", **New York Times**: 1996.

(103) من قادة الإسكندر الأكبر.

(104) حيث وردت الإشارة إليه عند استرابون. انظر:

- The Geography of Strabo, 15.1.44.

(105) - Lucian Twice Accused 8.

وهو كاتب وفيلسوف عاش فترة القرن الثاني الميلادي.

(106) - Indica, 15.4.

ويكرر ميجاثينيس Megathenes هذه الأسطورة كما رواها هيرودوت. وجاء بيانه مطابقاً لعرض الأخير ما عدا القليل من التفاصيل. ومن المؤكد أن ميجاثينيس Megathenes اعتمد على هيرودوت كمصدر رئيسي له ولقصته، لكنه لم يتوان عن إضافة بعض المعلومات إليها كان قد اكتسبها من خلال ترحاله، فيما يحتمل إلى الهند. وفيما يبدو أن استرابون (2.1.9) كان أول من أثار الشكوك حول مصداقية هذه الرواية. فهو يذكر أولاً أن كل ما ذكره ميجاثينيس لا يمكن الوثوق فيه كمصدر للمعلومة فيما يتعلق بالهند، وقد لاحظ في سرد قصة حيوانات النمور السوداء هذه أنها مثال لهذا النوع من القصص التي يعتمد على "البناء على الأصل" (μεῖζον ἐπὶ τὸ) وكذلك "التشويق" (τερατωδέστερον) من جانب الكُتاب (Strabo 15.1.37). ويضيف بليني Pliny هو الآخر إلى قصة حيوانات النمل الأسود. فإلى جانب إشارته العابرة لها (33.21.66)، فقد أمدنا ببيان كامل عن الرواية هذه. ومما لاشك فيه أنه اعتمد على ميجاثينيس كمصدر لكونه يشير في بيانه إلى أرض الداردیين الذين أطلق عليهم " أكثر الشعوب ثراء فيما يتعلق بالذهب" (6.22.67)، وقد أقرهم في الأجزاء الشمالية للهند.

ويشير ديو كريسوستوم Dio Chrysostom إلى هذه الأسطورة أيضاً. ويبدو أنه كان على دراية وقصة هيرودوت لكونه يصف هذه الحيوانات بأنها أكبر في حجمها من الثعالب لكنه يضيف تفصيلاً آخر من عنده؛ إذ يقول – على سبيل المثال – إن الذهب الذي ينثر بفعل حفر هذه الحيوانات في الأرض يكون ما يشبه التلال بفعل تراكمه، ويؤدي كذلك إلى فقدان البصر لمن ينظر إليه. وأما من يذهب ليجمع هذا الذهب فهو يشير إلى أنهم يذهبون في منتصف النهار، وهو تفصيل يشبه ما جاء في بيان هيرودوت، ولكنهم يوصفون باستخدامهم للعربات تجرها الخيول السريعة للوصول إلى مكان الذهب، وهي عبارة تناقض ما أورده هيرودوت. ويبدو هنا أن ديو كريسوستوم استخدم قصة هيرودوت لبيان الإطار العام لقصة حيوانات النمل الأسود لكنه أضاف إليها وبدا ما لم يبد مألوفاً لديه، منها قدرة هؤلاء الباحثين عن الذهب الفرار بما جمعته جمالهم. فبالنسبة إلى ديو كريسوستوم، فإن هذا الأمر لا يمكن أن يتم إلا بالعربات التي تجرها خيول فائقة السرعة.

- Chrysostom: **Dioscourse**, Cambridge (Mass.): Harvard University Press, 1961, 23-24.

كما أشار أريان Arrian (Indica 15.4-7) إلى هذه الحيوانات. وعلى الرغم من أنه يصف نيارخوس بأنه شاهد جلود هذه الحيوانات (122) فإنه – مع ذلك – يعارض جدية فكرة وجود مثل هذه الحيوانات. بيد أنه لم يعط سبباً لهذا لكن أعتقد – فيما يبدو – بأن الجلود التي رآها نيارخوس إنما هي لنوع آخر من الحيوانات. وتختلف رواية فيلوستراتوس Philostratus لهذه

الرواية عن كل أخرياتها في مظهرين اثنين: الأول، أنه أقر هذه الحيوانات في أثيوبيا Ethiopia، والثانى، كانت مهمتها ببساطة حراسة الذهب هناك وليس الحفر بحثاً عنه. انظر:

- Philostratus: **Life of Apollonius of Tyana**, Cambridge (Mass.): Harvard University Press, 1960, 6.1.

كما أورد أيليان Aelian إشارة إلى هذه الحيوانات (3.5). وهو يقول إن هذه الحيوانات تعيش في الهند، لكنه يصفها بكونها تحرس الذهب هناك، لذلك فمثله مثل فيلوستراتوس، طور الرواية بدوره من مادة استقاها إما من هيرودوت وإما من غيره من الكتاب الذين كتبوا عن حيوان النمل الأسود.

وعن التفسيرات الحديثة لهذه الرواية، هناك الكثير مما يمكن قوله. وكان رينيل Rennel(127) أول من أشار إلى هذه المخلوقات من الباحثين المحدثين. وقد حاول وضع إطار منطقي بأن افترض أن حيوانات النمل الأسود إما أن تكون حيوانات حقيقية وإما أنها مجرد حشرة النمل. انظر:

- Rennel, J: **Memoir of a Map of Hindostan**, London: M.Brown, 1783, p. Xxix.

واقترح فيلثيم Veltheim أن الرواية برمتها لا تعدو أكثر من كونها لمجموعة من الأطفال يغسلون الذهب بجلود الثعالب، وهي رؤية تحمل – ولا غرو – ملحوظة بليني عن جلود هذه الحيوانات. انظر:

- Veltheim, A: **Sammlung Einiger Aufsätze Historischen, Antiquarischen, Mineralogischen und Ähnlichen Inhalts**, Helmstedt: Bey C.G. Fleckeisein, 1800, pp. 380-536.

- Moorcroft, W: ‘‘A Journey to lake Mánasarôvara in U’ndçs, a Province of Little Tibet’’, **Asiatick Researches**: 18, 1813, pp.380-536. (107)

- Malte-Burn, ‘‘Mémoire sur l’Inde Septentrionale d’Hérodote et des Ctésias Comparée au Petit-Tibet des Modernes’’, **Nouvelles Annales des Voyages**:2, 1819, pp.380ff. (108)

- Ariana Antiqua: A Descriptive Account of The Antiquities and Coins of Afghanistan, pp.135-136. (109)

وقد أعيد طبع الكتاب في دلهي بالهند عام 1971 وهي الطبعة التي اعتمدت عليها هنا.

- **The** Mahābhārata, translated by Johannes, A., Chicago 1975, vol.2,p.118. (110)

- Ladāk, pp.232-233. (111)

وقد أعيد طبع الكتاب في دلهى بالهند عام 1970 وهي الطبعة التي اعتمدت عليها هنا.

- Rawlandson, H: ‘‘Thibetan Discovery’’, **Pall Mall Gazette**, March 16, 1869. (112)

- Schiern, F: **‘‘The tradition of the Gold-Digging Ants’’,** translated by Childers, A., **The Indian Antiquary**, August 4, 1875, pp.227-232. (113)

- The Geography of Strabo, 15.1.44. (114)

- Natural History, 33.21.66. (115)

(116) ووفقاً لشايرن، فإن عدد الخيام التي كان يتم نصبها في فصل الصيف نحو ثلاثمائة خيمة فقط،

وكان ضعفها ينصب في فصل الشتاء. وفيما يلي السبب الذي وضعه شايرن لكونهم فضلوا العمل في فصل الشتاء: "حيث التربة المجمدة التي يسهل التعامل معها ولا تشكل أي صعوبة في عملية الحفر في أثناء الشتاء بعكس التربة الصلبة في فصل الصيف". انظر:

- ''The tradition of the Gold-Digging Ants'', pp.230.
- Natural History, 11.36.111. (117)
- Laufer, B: ''Die Sage von den Goldgrabenden Ameisen'', **T'oung Pao**: 9.2, 1908, pp.449ff. (118)
- Regenos, G: ''A note on Herodotus 3.102'', **Classical Journal**: 34, 1939, pp.425-426. (119)
- Puskas, B: ''On an Ethnogtaphical Topos in the Classical Literature (The Gold - Digging Ants)'', **Annales Universitatis Scientiarum Budapestinensis de Rolando Eotvos Nominatae**, Sectio Classica: 5-6, 1977-78, pp.78-83. (120)

المجلة العربية للعلوم الإدارية

Arab Journal of Administrative Sciences

رئيس التحرير: أ. د. آدم غازي العتيبي

- صدر العدد الأول في نوفمبر ١٩٩٣ . / First issue, November 1993.
- علمية محكمة تعنى بنشر البحوث الأصيلة في مجال العلوم الإدارية. / Refereed journal publishing original research in Administrative Sciences.
- تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت ثلاثة إصدارات سنوياً (يناير - مايو - سبتمبر). / Published by Academic Publication Council,Kuwait University,3 issues a year (January, May, September).
- تسهم في تطوير الفكر الإداري واختبار الممارسات الإدارية وإثرائها. / Contributes to developing and enriching administrative thinking and practices.
- مسجلة في قواعد البيانات العالمية. / Listed in several international databases.
- تخضع للتقييم الأكاديمي الخارجي. / Reviewed periodically by international referees for high academic standards.

الاشتراكات

الكويت: 3 دنانير للأفراد - 15 ديناراً للمؤسسات - الدول العربية: 4 دنانير للأفراد - 15 ديناراً للمؤسسات
الدول الأجنبية: 15 دولاراً للأفراد - 60 دولاراً للمؤسسات

توجه المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان الآتي:

المجلة العربية للعلوم الإدارية - جامعة الكويت ص.ب: 28558 الصفاة 13146 - دولة الكويت
هاتف: Tel: (965)24827317 - أو 4734 / 4416 /24984415(965) - فاكس: Fax: (965)24817028
E-mail: ajas@ku.edu.kw - Web Site: http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/ajas